الإستعانة بالله وحده جلّ في عُلاه

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 22 جمادى الثانية 1434هـ الموافق لـ 3 ماي 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعةٌ وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ أعاذنا الله من الزَّيْغِ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

الإستعانة بالله وحده جلّ في عُلاه

معاشر الإخوة الكرام،

كثيرٌ من النّاس اشتغلوا بالرّقية إلى درجة أن زاروا المشعوذين والرّقاة، وطبيعة البشر أنّه محبٌّ أن تغدق عليه النّعم والخيرات، وكلّ ما يدخل على نفسه البشاشة والسّرور:

" **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿ 8 ﴾** " **سورة العاديات.**

كما أنّه إذا لحقه ضررٌ يسلك ويطرق كلّ الأبواب لدفع الضّرر والأذى عن نفسه، لكنّ المسلم ينبغي أن يسلك الطّريق الّذي نصح به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في جلب المنافع ودفع المضارّ، ففي هذا المقام جاء في الحديث الّذي رواه التّرمذي، وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، من حديث ابن العبّاس عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما، قال:

{ كنت خلف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يومًا، فقال لي: (ياغلام، إنّي أعلّمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ، لم يضرّوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله تعالى عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصُّحف) }.

– **احفظ الله:** يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالإمتثال، وعند نواهيه بالإجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أُمِرَ به إلى ما نُهِيَ عنه، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله.

ومِنْ أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله " **الصّلاة** "، لقوله تعالى:

" **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿ 238 ﴾** " **سورة البقرة.**

ومن ذلك حِفْظُ الرّأس والبطن، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل اللّسان والفرج، ففي صحيح الجامع للألباني رحمه الله، عن عائشة رضي الله عنها عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال:

(إثنتان تُدْخِلاَنِ الجَنَّةَ: من حفظ ما بين لِحْيَيْهِ ورِجليْه، دخل الجَنَّةَ).

ولقد أمر الله بذلك، فقال:

" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿ 30 ﴾ " سورة النّور.

وقال:

" . . . وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ . . . ﴿ 35 ﴾ " سورة الأحزاب.

– **إحفظ الله يحفظك:** يعني أنّ مَنْ حَفِظَ حدود الله وراعى حقوقه حَفِظَهُ الله، فإن الجزاء من جنس العمل، وحِفْظُ الله لعبده نوعان:

1– **حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله:**

قال الإمام عليّ رضي الله عنه: (**إنّ مع كلّ رجلٍ مَلَكَيْنِ يحفِظانه ممّا لم يُقَدَّرْ، فإذا جاء القدر خَلَّيَا بينه وبينه**).

واعلموا معاشر المسلمين، أنّ مَن حَفِظ الله في شبابه وقوّته، حَفِظه الله في حال كِبَرِهِ وضُعفِ قُوّته، ومَتَّعَهُ بِسَمْعِهِ وبصره وعقله.

وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنةٍ، وهو مُمَتَّعٌ بِقُوَّتِه وعقله، فَوَثَبَ يومًا وَثْبَةً شديدةً فَعُوتِبَ في ذلك، فقال:

(**هذه جوارحٌ حَفِظْنَاهَا عن المعاصي في الصِّغَرِ، فَحَفِظَهَا الله علينا في الكِبَر**).

عكس هذا، أنّ بعض السّلف رأى شيْخًا يسأل النّاس، فقال:

(**إنّ هذا ضعيفٌ، ضيّع الله في صغره فضيّعه الله في كبره**).

بل وقد يحفظ العبد بصلاحه بعد موته ذُرّيته، كما قال تعالى:

" وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ 82 ﴾ " سورة الكهف.

أنّهما حُفِظَا بصلاح أبيهما.

ولذلك قال سعيد بن المسيّب رحمه الله لإبنه:

(لأزيدنّ في صلاتي من أجلك، رجاء أن أُحْفَظَ فيك).

2- والثّاني هو أشرف النّوعين، **حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه:**

فيحفظه في حياته من الشّبهات المُضِلّةِ ومن الشّهوات المحرّمة، ويحفظ عليه إيمانه ودينه، فيمت على الإيمان، ويختم له بحسن الخواتيم.

قال بعض السّلف: { **إذا حضر الرّجل الموت، يُقال للملك: (شمّ رأسه)، قال: (أجد في رأسه القرآن)، قال: (شمّ قلبه)، قال: (أجد في قلبه الصّيام)، قال: (شمّ قدميه)، قال: (أجد في قدميْه القيام)، قال: (حفظ نفسه)، فحفظه الله** }.

وفي الجملة، فإن الله عزّ وجلّ يحفظ على المؤمن الحافظ لحدود دينه، ويحول بيْنه وبين ما يفسد عليه دينه بأنواعٍ من الحفظ، كما قال عن يوسف عليه السّلام:

" . . . كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿ 24 ﴾ " سورة يوسف.

قال ابن عبّاس رضي الله عنه، في قوله تعالى:

" . . . وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ . . . ﴿ 24 ﴾ " سورة الأنفال.

قال يحول بين المؤمن وبين المعصيّة الّتي تجرّه إلى النّار، وقال ابن مسعود:

{ إنّ العبد ليهمّ بالأمر من التّجارة والإمارة حتّى يُيَسَّرَ له، فينظر الله إليه، فيقول للملائكة: (اصرفوه عنه، فإنّه إن يسّرته له أدخلته النّار) }.

– احفظ الله تجده تجاهك: ومن كان الله معه فاز وانتصر، قال قتادة رضي الله عنه: (**من يتّق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة الّتي لا تُغْلَبْ، والحارس الّذي لا ينام، والهادي الّذي لا يضلّ**)، ولذلك قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأبي بكرٍ رضي الله عنه، وهما في الغار حينما خَشِيَ عليه من قريش، قال له: (**ما ظنّك بإثنين ثالثهما الله**)،

" لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا . . . ﴿ 40 ﴾ " سورة التّوبة.

– إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله:

إلجأ إلى الله في طلب حاجتك، فهو القائل:

" . . . ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . . . ﴿ 60 ﴾ " سورة غافر.

وقد بايع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم جماعةً من أصحابه على أن لا يسألوا النّاس شيئًا، منهم أبو بكر وأبو ذر وثوبان رضي الله عنهم، وكان أحدهم يُسْقِطُ السَّوْطَ أو خِطَامَ ناقته، فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه.

وقد ثبت في الصّحيحين عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (**إنّ الله عزّ وجلّ يقول : (هل من داعٍ فأستجيب له دعاءه؟، هل من سائلٍ فأعطيه سؤله؟، هل من مستغفرٍ فأغفر له؟**).

– وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول: (**اللّهمّ كما صُنْتَ وجهي عن السّجود لغيرك، فَصُنْهُ عن المسألة لغيرك، ولا يقدر على كشف الضّرّ وجلب النّفع سِوَاكَ**)، وهو مِصْدَاقٌ لقوله تعالى:

" وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ . . . ﴿ 107 ﴾ " **سورة يونس.**

فمن أعانه الله فهو المُعَانُ ومن خذله فهو المخذول.

– كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله: (**لا تَسْتَعِنْ بغير الله فَيَكِلُكَ الله إليه**).

ومن كلام السّلف: (**يا ربّ عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك**).

" لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . . . ﴿ 284 ﴾ " سورة البقرة.

وبعض النّاس لجهلهم يظنّون ويعتقدون أنّ لهم القدرة في إلحاق الضّرر بالغير، وقد يخشى ضعفاء الإيمان بعض النّاس، ظانّين أنّ لهم القدرة في الضّرر أو النّفع، فَعِوَضَ أن يحرصوا على كسب رضا الله يَسْعَوْنَ لكسب رضا النّاس لدفع ضررهم، والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: (**واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ، لم يضرّوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله تعالى عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصُّحف**).

وقد دلّ القرآن على هذا في قوله:

" قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ 51 ﴾ " سورة التّوبة.

وقوله تعالى:

" مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ 22 ﴾ " سورة الحديد.

وقوله:

" . . . قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ . . . ﴿ 154 ﴾ "

سورة آل عمران.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله،

إخوتي الكرام،

إذا اعتقد المسلم أن لا يصيبه إلاّ ما قدّره الله عليه، فَلِمَ الخشية من النّاس؟، وإذا كان لا يقع لك إلاّ ما قدّره الحكيم العادل، وإذا كان الله قد وعد أنّ من حفظ حدوده حفظه، فَحَرِيٌّ بالمسلم أن يقف على حدود الله ولو سخط النّاس، فهو الّذي يدفع آذاهم عنه لو أرادوا إذايته، وقلوبهم بيده جلّ جلاله يصرفها ويُقَلِّبُهَا كيفما شاء.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى:

(وعليه من علم أنّه لا ينفع ولا يضرّ ولا يُعطي ولا يمنع غير الله، أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرّجاء والمحبّة والسّؤال والتّضرّع، والإستعانة والدّعاء وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعًا، وأن يتّقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعًا، وإفراده بالإستعانة والسّؤال له وإخلاص الدّعاء له في حال الشّدة وحال الرّجاء).

قال تعالى حاكيًا عن حال الكفّار من إخلاصهم الدّعاء حال الشّدة، ونسيانه حال الرّجاء:

" . . . قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿ 38 ﴾ " سورة الزّمر.

ثبت في صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: { **قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (إذا أحبّ الله العبد نادى جبريل: (إنّ الله يحب فلانًا، فأحببه)، فيحبّه جبريل، فينادي جبريل في أهل السّماء: (إنّ الله يحبّ فلانًا فأحبّوه)، فيحبّه أهل السّماء، ثمّ يوضع له القبول في الأرض)** }.

فمن طلب حفظ الله فليحفظ حدوده، ومن أراد ودّ النّاس ومحبّتهم فليحفظ حدود الله تعالى، وليطع أمره ويجتنب نهيه، ومن أراد السّلامة في دينه فيراعي حدود الله تعالى، ليختم له بحسن الخواتيم، فينال رضا ربّ العالمين.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.